

الفصل السادس عشر الترجمات العربية للرباعيات

حظى الخيام بما لم يحظ به شاعر آخر من الترجمات العربية، فحتى شكسبير لم يُترجم مثل ما تُرجم الخيام. ويبلغ عدد الترجمات العربية له خمساً وخمسين ترجمة:

- منها سبع ترجمات بالعامية: أولها ترجمة حسين مظلوم سنة ١٩٤٤ عن ترجمتى السباعى والبستاني، وعدد رباعياتها ١١٥ رباعية؛ ثم ترجمة فاضل بن حمود إلى الموالم السبع العراقي عن ترجمة النجفي سنة ١٩٤٩؛ وترجمة هياس الترجمان زجلاً سنة ١٩٤٩؛ وأرثر ضو اللبناني باللهجة العامية اللبنانية سنة ١٩٦٢، وترجم ٧٥ رباعية عن فيتزجيرالد؛ وأحمد عبد الجبار بالعامية العراقية سنة ١٩٦٦، وترجم ١١٦ رباعية عن أبى شادى؛ وأحمد سليمان حجاب بالعامية المصرية سنة ١٩٧٥، وترجم ١٨١ رباعية عن أحمد رامى، ومحمد رضا، وترجم ١٠٦ رباعية زجلاً عن توفيق مفرج سنة ١٩٧٥.

- وثلاث عشرة ترجمة نثرية: أولها ترجمة أحمد حافظ عوض لتسع رباعيات عن الإنجليزية، فى مقال له عن شعراء الفرس، بالمجلة المصرية سنة ١٩٠١؛ ومصطفى وهبى القل سنة ١٩٢٢، وترجم ١٥٥ رباعية عن التركية والفارسية؛ ومحمد المنجورى سنة ١٩٢٢، وترجم ست عشرة رباعية عن فيتزجيرالد؛ والزهاوى سنة ١٩٢٨، وترجم ١٢٠ رباعية عن الفارسية؛ وأحمد الصواف سنة ١٩٣١، وترجم ١٩٨ رباعية عن الفارسية؛ وترجمة همايون سنة ١٩٣٩ لخمس رباعيات عن الفارسية؛ وهيسى الناهورى سنة ١٩٥٤، وترجم ثمانى رباعيات عن الإيطالية؛ ونويل عبد الأحد سنة ١٩٥٨، وترجم ٧٥ رباعية عن فيتزجيرالد؛ وبكتور محمد غنيمى هلال سنة ١٩٦٥، وترجم ٢٣ رباعية عن الفارسية؛ وأبو النصر مبشر الطرزى الحسينى، وترجم أربعين رباعية سنة ١٩٦٧ عن الفارسية؛ والدكتورة إسعاد قنديل، وترجمت اثنتى عشرة رباعية عن الفارسية سنة ١٩٧٥؛ والدكتورة محمد زهيرى، وترجمت إحدى وعشرين رباعية عن الفارسية سنة ١٩٨٦؛ وبدر توفيق وترجم ١٠١ رباعية عن فيتزجيرالد سنة ١٩٨٩.

- وثلثان وثلاثون ترجمة شعرية: أولها ترجمة إسكندر معلوف لست رباعيات عن الإنجليزية، نشرها فى الهلال سنة ١٩١٠؛ ووديع البستاني سنة ١٩١٢، وترجم ثمانين رباعية عن فيتزجيرالد وآخرين؛ وعبد الرحمن شكرى، وترجم ثلاث رباعيات عن فيتزجيرالد سنة ١٩١٣؛ وعبد اللطيف النشار، وترجم سنة ١٩١٩ سبعاً وعشرين رباعية عن

فيتزجيرالد؛ ومحمد السباعي، وترجم سنة ١٩٢٢ عدد ١٠١ رباعية عن فيتزجيرالد؛ ومحمد الهاشمي سنة ١٩٢٣، وترجم ١١٣ رباعية عن ترجمة الصراف النثرية؛ وأحمد رامى ١٦٨ رباعية عن الفارسية سنة ١٩٢٤؛ والمازنى ثلاث عشرة رباعية عن فيتزجيرالد سنة ١٩٢٤؛ وأمين نخلة إثنتا عشرة رباعية عن فيتزجيرالد سنة ١٩٢٥؛ والزهاوى ١٣٠ رباعية عن الفارسية سنة ١٩٢٨؛ والنجفى ٣٥١ رباعية عن الفارسية سنة ١٩٣١؛ وأبو شادى ١٣٠ رباعية عن الزهاوى سنة ١٩٣١؛ وإبراهيم العريض ١٥٢ رباعية عن فيتزجيرالد سنة ١٩٣٣؛ والعقاد رباعية واحدة عن فيتزجيرالد سنة ١٩٤٢؛ ونور الدين مصطفى ثلاث رباعيات سنة ١٩٤٤؛ وتوفيق مفرج ١٠٧ رباعية بالشعر الحر عن فيتزجيرالد سنة ١٩٤٧؛ ومصطفى جواد ١٨ رباعية سنة ١٩٤٩ عن الصراف؛ وطالب الحيدري ١٥٩ رباعية عن الفارسية سنة ١٩٥٠؛ وعبد الحق فاضل ٢٨١ رباعية عن الفارسية سنة ١٩٥٠؛ وأحمد أبو شادى ١٠٨ رباعية عن فيتزجيرالد سنة ١٩٥٢؛ ومحمد حسن عواد ست رباعيات عن الصراف سنة ١٩٥٥؛ وجميل الملايكة ٥٠ رباعية عن فيتزجيرالد سنة ١٩٥٧؛ ومهدى جاسم ١٨٢ رباعية عن الفارسية سنة ١٩٦٤؛ وحكمت فرج البدرى ١١٠ رباعية عن الفارسية سنة ١٩٦٤؛ ومجفر الخليلى رباعية واحدة عن الفارسية سنة ١٩٦٥؛ ومحمد مهدي كبه رباعية واحدة عن الفارسية سنة ١٩٦٥؛ ومحمد جميل العقيلي ٧٩ رباعية عن فيتزجيرالد سنة ١٩٦٦؛ وقيصر المعلوف ٨٦ رباعية عن فيتزجيرالد سنة ١٩٦٨؛ وهامر بحيرى ٧٥ رباعية عن فيتزجيرالد سنة ١٩٧٨؛ وتيسير سبول ٢٩ رباعية بالشعر الحر سنة ١٩٨٠؛ ومحمد بن تاويت ١٥٠ رباعية عن الفارسية سنة ١٩٨٥.

وتفاوتت هذه الترجمات فى قدرتها على توصيل المعانى، وسبك العبارة سبكاً يعادل سبك الخيام لها، وإيراد الألفاظ المساوية من حيث الجرس والمبنى والمعنى. وتفاوتت كذلك من حيث فهم المترجم للنص، وتشبّعه به، واستيعابه للفلسفة التى تتضمنه. وكلما كانت شخصية المترجم فيها الكثير من شخصية الخيام تكون قدرة المترجم على تمثيل أفكار الخيام. ناهيك عن أنه يتوجب على المترجم أن يكون متقناً للغتين، ومتمرساً بالترجمة، ومتذوقاً للأدب، وواعياً بما يمثل الخيام فى بلده من مكانة أدبية، وما يمثل النص من قيمة أدبية فى التراث العالمى. وقد يبدو أن الناثر أقدر على الوفاء بالترجمة من الشاعر بسبب ما يفرضه الشعر من قيود قد تدفعه دفعا إلى أن يحيد بالترجمة عن النص اضطراباً منه لا اختياراً. وقد يبدو كذلك

أن الشاعر المترجم أقدر على فهم النص الخيامي من الناثر المترجم، وأصدق في القيام بمتطلبات الشعر، وأوفى في التعبير وأفصح. وكثيرا ما تستلزم الترجمة تزيّداً على النص يجد المترجم نفسه مدفوعاً إليه، وقد يستلزم إنقاصاً، أو تحويراً ليناسب بين روح الثقافة هنا وهناك.

والنتيجة التي يمكن أن نخلص إليها أن كثرة التراجم للنص الواحد قد تبدو كما لو كانت لوحات مختلفة لموضوع واحد، وكل لوحة تمثل مذهباً في الرسم والتصوير يختلف عن الآخر.

(١)

ترجمة وديع البستاني

كان وديع البستاني (١٨٨٦ - ١٩٥٤) أول من نقل الرباعيات عن الشاعر الإنجليزي فيتزجيرالد سنة ١٩١٢. وسهّلت له معرفته بالإنجليزية وشاعريته أن يترجم روح القصيدة الإنجليزية، ولم يأنفك الرباعيات ويصوغها شعراً، حتى أن الكثيرين قد تابعوه على ما ذهب إليه لجودة ترجمته ورصانة أسلوبه.

والبستاني درس في الجامعة الأمريكية في بيروت، وهو من أصول فلسطينية، واشتغل بالقضية الفلسطينية، وكان شغوفاً بالأدب والفلسفات الشرقية، فترجم المهرات الهندية نظماً، ومختارات من شعر طاغور، وكتب الكثير في التعريف بالأدب الفارسي، وكانت له مجاهدات في توحيد الصف العربي للمسلمين والمسيحيين، وله هذان البيتان الشهيران:

ولئن عدّ الأديان ناساً وفرقوا * فما كنتُ في الأوطان إلاّ موّحداً
نحن النصارى الأقبويون مودة * لكم وقد صدق النبي محمد

ويؤكد البستاني أن بعض الرباعيات منحولة على الخيام، وكان فهمه لشخصية الخيام أنه شاعر مسلم، متفتح، واسع الاطلاع، طليق الفكر من قيود التقاليد، وشديد الجرأة على المجاهرة باعتقاده المطابق للمعقول ولو جاء مخالفاً للمنقول. وكان حرص البستاني شديداً أن ينقل الرباعية من البيت الفارسي إلى البيت العربي، ومن الرباعية إلى السباعية، وأن يجعلها ملحمة واحدة. وقسمها إلى افتتاحية ونشيد، ونظّمها على البحر الخفيف.

وقد وصف الشاعر العراقي النهدي ترجمة البستاني بأنها عمل جميل مؤثر يتسم بالرقة

والإحساس والسلاسة والروعة الشعرية مما يفتن اللب ويهيج الشجون. واعتبرها مصطفى لطفى المنفلوطى نعمة أسداها لأبناء الضاد استحق عليها أن تُكثم يده البيضاء على هذه الزهرة الجميلة التي سنتبت حولها زهرات أخرى. ويقصد بالزهرات الترجمات اللاحقة المماثلة. وقد استشهدنا بترجمة البستاني فيما أوردناه من شعر الخيام خلال هذه الدراسة، فكل سباعية أوردناها هي من ترجمة البستاني.

(٢)

ترجمة النشار

عبد اللطيف النشار (١٨٩٥ - ١٩٧٢) ترجم ٢٨ رباعية سنة ١٩١٩ عن فيتزجيرالد والنشار من الإسكندرية، وكان جده وأبوه شاعرين، ولم يكمل تعليمه، ومارس الصحافة والترجمة، وكان به شغف بالأدب الإنجليزي، وحياته بها الكثير مما نكره فيتزجيرالد عن الخيام. وكان النشار مولعا بمعارضة كبار شعراء الغرب والشرق، وترجم الكثير من الأعاجم كالسعدى والشيرازى، وله ترجمات شعرية عن التوراة. وترجم لتينسون وشكسبير وملتون. وقال العقاد في دواوينه إن فيها شعراً لا شك فيه، وفي صاحبها شاعرية لا شك فيها. وقال عنه يحيى حقي كأنه قضى عمره كله يجرى وراء غاية تهرب منه، ربما هي السعادة، وربما النجاح، وقد تكون معنى الوجود، أو ربما يسعى لمواجهة نفسه ولقائها وجها لوجه، وربما تكون غايته لقاء الله وجها لوجه. والنشار مكافح وصوفى معا. يقول النشار:

قد كنت أبحث في الحياة وفي الوردى * وأسائل العلماء والحكماء
وأدير في الغيب المحجب نظرة * على أرى وسط الظلام ضياء
فرايت ما قالوه وهمأ باطلا * يفرى النفوس وما يبيل ظماء
فاتركهمو واتبع خطاى فإننى * أليت قول العالمين هباء

وصدق من قال إن شعر النشار تعريب وليس ترجمة، فهو يتصرف كثيرا، ويترك ما يذكره بالبيئة الفارسية، ويعمم المعاني فيجعلها حكمة، وهو ما نفتقده عند فيتزجيرالد الذي يترجم عنه. وبه طلاقة، ومعانيه أوضح من فيتزجيرالد. ونقل النشار سبعا وعشرين رباعية، نشرها في ديوان «نار موسى»، إلا أن أهل بيته ذكروا أنه ترك ترجمات أخرى على صفحات النسخة الإنجليزية لفيتزجيرالد، ومنها:

طالما خضنا غمار الفلسفة * وسمعنا من صواب وسفه
وخبطنا في دياح دامسة * ثم صرنا حيث كنا أولا
لم نمر نحو الهدى قيد ذراع

وواضح أن أسلوبه فيها يختلف، وكذلك الإيقاع وعدد الرباعيات، وجميعها من تأليف الشاعر محمد السباعي، وأخطأ أهل الشاعر والناسخ والمشرّف على الديوان من بعده حيث ظنوها له. ويبدو أن النشار قد رصد ترجمة السباعي إلى جانب الأصل الإنجليزي ليقارن بينهما.

(٣)

ترجمة السباعي

الشاعر محمد السباعي (١٨٨١ - ١٩٣١) والجد الروائي يوسف السباعي، وكان مغرماً بالترجمة، ويبدو أنه كان يعيل إلى التفسير النفسي للأدب فردّ سيكولوجية الخيام إلى سيكولوجية الشعب الفارسي، وقال بلا شعور جمعي يُنطق الشاعر بلسان أمته فيكون شعره مرآة لها. وترجم من الرباعيات ١٠١ رباعية عن فيتزجيرالد، وانتقدتها البعض لأنها دون ترجمة البستاني من حيث السبك والسلاسة والرقّة، وأرجعوا ذلك لاشتغالها على ألفاظ مهجورة وتعابير ثقيلة على الأسماع، وبرّروا لذلك عدم اشتهاها، ونسبوا للسباعي أنه سطا على هذين البيتين للشاعر العربي ابن وكيع المصري المتوفى سنة ٣٩٢هـ:

غرّد الطير فنّبّه من نَعَس * وأدر كأمك فالوقت خلّس
سَلَّ سيفُ الفجر من فمّ الدجى * وتعرى الصبح من ثوب الفلّس

وجعلهما في صدر النشيد الأول حيث قال:

غرّد الطير فنّبّه من نَعَس * وأدر كأمك فالعيش خلّس
سَلَّ سيفُ الفجر من فمّ الفلّس * وانبرى في الشرق رام أرسللا
أسهم الأنوار في هام القلاع

ولعله لهذا التبس الأمر على حلمي مراد صاحب «كتابي» فلماً عدّد المترجمين للخيام اعتبر ابن وكيع منهم وذكره مع البستاني ورامي والزهاوي والهاشمي والصرفاء من أدباء لبنان ومصر والعراق الذين تصنّوا لترجمة الخيام.

والسباعى صاغ الرباعيات فى ثلاثة أناشيد، ومنها:

دع رجال العلم فى شغب الجدال * ينفقون الدهر فى قيل وقال
كل شئ فى الورى إفك محال * غير موت بات يطوى أملا
ليس يذكو بعدما يخبو شعاع

طفت يوما حول خزاف لبق * يصنع الأكواب من طين لثق
لطمت كفاه من عنف وخرق * طينة فاسترحمته وجلا
قالت ارفق لا تكن لفظ الطباع

(٤)

ترجمة أحمد رامى

ترجم رامى رباعياته عن الأصل الفارسى، واختار من كل ما نُسب إلى الخيام ما تحقق له مصدره، ونشر مما تجمّع له ١٦٨ رباعية سنة ١٩٢٤، وكان أظهر ما رآه فى فلسفة الخيام أنه يعنى على قصر الحياة ويطلانها، ويتراوح بين التفاؤل والتشاؤم، وأنه قدّرى ومتصوف، وتقى ومستهتر، وأميل ما يكون إلى اليأس إلى حد السخرية من الحياة والضحك من كل شئ فى الوجود. ويرجع رامى الفضل فى انتشار الرباعيات إلى خصائص الرباعية نفسها، من حيث أن كل واحدة تقوم بمعنى واحد، وكل بيت يقوم بفكرة واحدة. ويصف رامى آراء الخيام بأنها قصيرة تجعل لأسلوبه روحا خاصا يختلف عن روح معاصريه من الشعراء، وأنه يبدو فيها كالروح الخائر المتلمس للهدوء والحقيقة فى كل مكان.

واختار رامى لترجمته بحر السريع فى قالب الرباعى الأعرج ماعدا الرباعية العاشرة فقد نظمها فى الرباعى الكامل. وأخطأ الأستاذ أحمد الجندى فى مقدمته لترجمة النجفى عندما نكر أن رامى ترجم رباعياته عن الإنجليزية، واعتبر ذلك نقصا كبيرا فى الترجمة فأظهر انحيازا عنصريا بغيضا حكّمه فيما لم يعلم. وانتقد على رامى بيته الذى يقول فيه:

فلا تتب عن حسو هذا الشراب * فإنما تندم بعد المتاب

وقال إنه لا يظن أن الخيام يقنع من الشراب بالحسو، لأن العرب تقول يوم كحسو الطير تشبيهاً له بجرع الطير للماء في سرعة انقضائه. وتقول نومه كحسو الطير إذا نام نوماً قليلاً. وكان بوسع رامى أن يقول شرب هذا الشراب أو كرهه، فذلك أدلّ على الرغبة في الإكثار، وهو ما كان يصنعه الخيام، ولكننا نرد عليه بأننا قد لاحظنا أن الزهاوى شاعر العراق قد استخدم الحسو أيضاً ولم ينتقده الجندى كمنقده لرامى!! - ويقول: وكلمة «فإنما» غير مطمئنة في الشطر الثانى، وكان يمكن أن يقول فأنت قد تندم بعد المتاب، أو أن يقول فربما تندم بعد المتاب. وفي الرباعية التى تبدأ يا مَنْ يحار الفهم فى قدرتك، الأجل أن لا تكون قافية طاعتك مع رحمتك، لأن الألف فى طاعتك تجعل القافية مختلفة، وهذه ألف التأسيس التى يجب التزامها فى القوافى، وكان يمكن لرامى أن يقول وتطلب النفس حمى قدرتك بدلا من وتطلب النفس حمى طاعتك.

على أن كثيرين أعجبتهم ترجمة رامى، وقالوا عنها إنها أقرب التراجم إلى روح الخيام، وأنها أدق كثيراً فى الأنغام التى نقلت موسيقى الخيام فى شفافية، إلا أن رامى من ناحية أخرى كان يضحى أحيانا بالكلمة من أجل المعنى العام للرباعية. وقد استشهدت فى هذه الدراسة كثيراً برباعيات رامى، فكلما كانت هناك رباعية فى بيتين فهى له.

(٥)

ترجمة المازنى

ترجم المازنى ثلاث عشرة رباعية عن فيتز جيرالد سنة ١٩٢٤، نظمها على بحر الرمل ويقال الرباعى الفارسى. وامتدح العقاد الترجمة وقال كلاما عجيبا - قال: ولست أغلوا ولا أحجم عن التحدى إذا قلت إننى لا أعرف، فيما عرفت من ترجمات للنظم والنثر، أديباً واحداً يفوق المازنى فى الترجمة ويملك هذه القدرة شعراً كما يملكها نثراً، ويجيد منها اللفظ كما يجيد منها المعنى والنسق والطلاوة. ويحكى العقاد فى معرض الحديث عن المازنى فى الترجمة، أنه فى سويغات معدودات استطاع أن يترجم بعض الرباعيات ترجمة أمينة ملتزماً بكلام الخيام. وليس فى الترجمة فكرة مقحمة أو عبارة محشوة، وليس فيها معنى ناقص أو فتور فى روح الشعر ومؤداه، بل تراجمها على الترجمة الإنجليزية فتكاد لا ترى هناك كلمة متأخرة عن موضوعها إلا فيما يقضى به اختلاف اللغتين.

وقد قارناً الترجمة فعلا بالنص الإنجليزي فتبين لنا كل العيوب التي ادعى أن الترجمة تخلو منها، فالرباعية الأولى مثلا التي يقول فيها المازني:

خضتُ في عهدى غمار الجدل * وسمعت الشيخ يتلوه الولي

غبر أنى كنت القى أبدا * مخرجى بعد عنائى مدخلى

وأصلها في الإنجليزية:

Myself when young did eagerly frequent
Doctor and Saint, and heard great argument
Aout it and about: but evermore
Came out by the same door as in I went

وكما ترى إن المازني ينقصه أن يقول خضت «بحماس» بدلا من خضت فقط، كما أن «يتلوه» زائدة، والمعنى متعثر في البيت الثاني. وهكذا في بقية الرباعيات. وما نعترض عليه في كلام العقاد هو مغالاته الشديدة في امتداح المازني.

(٦)

ترجمة الزهاوى

قام جميل صدقى الزهاوى (١٨٦٣ - ١٩٣٦) شاعر العراق بترجمة ١٣٠ رباعية عن الأهل الفارسي، نثراً ثم شعراً سنة ١٩٢٨، وراعى في ترجمته الشعرية نفس البحر الذى عليه الرباعيات، وقلد الخيام في كثير من قوافيه. ويبدو أن ما أعجب الزهاوى في الخيام هو ما يظهر عليه من اضطراب في شخصيته وفلسفته. والزهاوى نفسه كانت حياته كثيرة المفارقات، وذكر عن نفسه أن اسمه في صباه كان «المجنون» لحركاته غير المألوفة، وفي شبابه «الطائش» لنزعتة إلى الطرب، وفي كهولته «الجرى» لمقاومته الاستبداد، وفي شيخوخته «الزنديق» لمجاهرته بأرائه الفلسفية. وكان الزهاوى يدرس الفلسفة الإسلامية، وتأثر شعره بما كان يعلم. وهو ينسب إلى زهاو التي منها أبوه وهى الآن من بلاد فارس، ولذلك نظم الشعر بالعربية والفارسية. ووقر في ذهن ووجدان الزهاوى أن عدد الرباعيات الحقيقية التي يمكن نسبتها إلى الخيام لا يزيد عن المائتين، وذهب إلى عدم مناسبة الكثير مما نسب إلى الخيام لمزاجه وفلسفته وأسلوبه، وأرجع الانتحال لتقادم العهد عليها وتداولها بين النسّاخ. وقال إن الرباعيات هي الخيام نفسه، وهى صدى لما كان يفكر فيه ويشعر به، وبها كبر الخيام عند أهل زمانه وفي هذا العصر. ويرى الزهاوى أن من الرباعيات ما هو غث تافه، وما هو رائع ثمين، ولعل الغث منها هو المدسوس.

نماذج من رباعيات الزهاوى فى العظة والاخلاق

كان ليلُ من قبلنا ونهار * ونجوم تلج بالسدودان
رب ارض وطنتها هى كانت * عين حسناء فى قديم الزمان

عامل الناس بالولاء جميعا * من يسى فهو بالملام خليق
فإذا كدتُ فالصديق عدو * وإذا حدثُ فالعدو صديق

ما مضى فات والذى سوف ياتى * مختلف فى فواهب الشبهات
اغتتم وقتك الذى أنت فيه * ثم لا تحتفل بماضى وأت

فى العشق

إنما العشق فى الشباب جلاء * لحياة الفتيان والفتيات
أيها الغافل البعيد عن العشق * تمسق فالعشق كل الحياة

مناجيات

أنا علقى لا يستطيع وإن حاول * عمراً فى نفسه إثباتك
أنا مالى بكنهه ذاتك علم * إنما الذات منك تعرف ذاتك

(٧)

ترجمة النجفى

أحمد الصافى النجفى شاعر عراقى، وترجمته للرباعيات ثانى أكبر الترجمات، وكما قيل أدقها، ويصف طريقته بأنها تعريب، وبلغ عدد ما ترجمه ٣٥١ رباعية، نشرها سنة ١٩٣١،

وكان همه فيها أن ينقل المعنى شعراً بحيث لا يبدو عليه أثر تكلف النقل، ويقترب قدر الطاقة من الذوق العربي، وأجاء ذلك أحيانا أن يفرغ الرباعية الواحدة في أكثر من عشرين سبكاً حتى يختار من بينها، وكثيرا ما كان يضحى بخياله الشعري في سبيل هذه المهمة. وكانت هناك رباعيات جميلة لم يستطع أن يبرز معانيها كاملة فائز أن لا يترجمها اغترافا بعجزه وقصوره. وانتقدت ترجمته لأنه لم يحتفظ بالدويبت الوزن الأصلي للرباعيات، ولم يقيد نفسه بوزن يطرد في كل الرباعيات حتى لا تملأ الأذن إذا تكرر. وكان النجفي أول من نبه إلى المشابهة بين الخيام والمعري، وبينه وبين شعراء آخرين.

ولقد استشهدت في هذه الدراسة بنماذج من رباعيات النجفي وخاصة فيما يتعلق بشطحات الخيام، وبفلسفته في القضاء والقدر والموت وغير ذلك، مثل:

إلهي قل لي من خلا من خطيئة
وكيف تُرى عاش البريء من الذنب
إذا كنت تجزي الذنب مني بمثل
فما الفرق ما بيني وبينك يا ربي؟

(٨)

ترجمة أبي شادي

عثر الدكتور أحمد زكي أبو شادي في الخيام ورباعياته على أصداء لحياته المضطربة وتساؤلاته في الكون، فنظم شعراً ١٣٠ رباعية على منوال الخيام سنة ١٩٣١، واعتمد فيها على الترجمة النثرية الحرفية للزهاوي، إلا أنه كما قيل قد يكون المورد واحداً وتختلف الأنواع في النظم والاستيعاب، فمثلا ترجم الزهاوي نثراً «سأطرب على الوجه الجميل ما استطعت، وأعيش رغداً بجانب النهر حيث الخمر والزهر. شربتها في الماضي، وأشربها اليوم، وسوف أشربها»، ثم نظمها شعراً فقال:

لا أعاف السلاف ما دمت حياً * قد أصاب ارتياحهم شاريوها
إنني قد حسوتها قبل هذا * وكما قد حسوتها أحسوها

وهذا أو نحوه أرتأى أبو شادي أن ينظمه من نفس البحر الذي منه شعر الخيام:

سوف أصفو على المحيا الجميل * ما استطعت النعيم في قُرب نهر
حيث زهرة وخمرة احتسبها * مثل عهدٍ مضى وعهدٍ سيجزى

ويبدو أن الزهاوري لم يلتزم في شعره بترجمته النثرية للرباعيات، والتزمها أبو شادي، فكان أصدق بالمقارنة للأصل، يقول أبو شادي:

علم الله عندما جعل الطينة * خلقاً ما سوف يصدر منا
ما ذنوبى إذن بغير رضاه * فلماذا أصام حرقاً وقبناً

حينما ركب الإله الطباهما * كيف لم يجعل الكمال مداها
إن يكن خصها به فلماذا * هدّها أو هوّت فمن ذا يراها

(٩)

ترجمة عبد الحق فاضل

اعتمد المترجم وهو ينقل الرباعيات إلى العربية على الأصل الفارسي، ومنه ست نسخ كانت مرجعه فيما اقتنصه من الرباعيات «الشروء» التي تمثل جوانب من تفكير الخيام، وبعضها معروف، وبعضها لم يسبقه إليها أحد في العربية. وتعتبر ترجمة عبد الحق أكبر الترجمات قاطبة إذ بلغت ٣٨١ رباعية نشرها سنة ١٩٥١. ويصف طريقته في النقل فيقول إنه لم يفوت نكتة، ولم يقدم ولم يؤخر، ولم يحور، ولم يبيع لنفسه التصرف إلا بمقدار ضرورة الوزن والقافية. ويلاحظ أن الخيام أجز بعض معانيه، ومطّ بعضها، وأكثر من نكر كلمات بعينها من أوصاف الجمال في النساء كالخذ والطرة. وبعض الرباعيات اختلف نصّها الفارسي باختلاف الروايات. وهناك رباعية «قبيحة» يجعلنا ما فيها من فاحش القول نعتقد أنها ليست للخيام. والشطران الثالث والرابع منها يقولان أنا يا أهل الصلاح لم أجرم في حق الشرع إلا بارتكابى للغدر واللواط والزنا. والنصوص الفارسية التي تذكر هذه الرباعية تعيد فيها وتزيد. ويؤكد عبد الحق أن بعض الرباعيات على قدر كبير من الغثاثة، وبعضها قد ثبت بطلان نسبه إلى الخيام. وما من محقق لشعر الخيام يسعه أن يجزم بأن معشار تلك

الرباعيات التي تعد بالآلوف هي للخيام، مثل هذه الرباعية التي يقول فيها إنه جاء المسجد ليسرق سجادة، أو الهياجية التي تقول إنه تاق إلى الصلاة والصوم ولكن وضوءه نقضته نَسْمَة وصيامه أبطلته رشفة خمر. وقد حاول المترجم أن يجمع الرباعيات المتشابهة تحت عناوين واحدة يقول مثلاً في الدين:

قول في الجنة حور قاصرات الطرف عين * وخمود جاريات في نهود وهيون
أى خبير إن طلبنا الحور والخمر هنا * إن هذا هو عقبى الأمر فيما يذكرون

أه كم أبنى على الماء من الوهم قصورا * سئمت نفسي أوثاناً لعمري وديورا
أيها الخيام من قال لنا ثم جحيم؟ * من تولى من جحيم أو تدأى من نعيم؟

عندما صورنا البارئ من هذا التراب * كان يدري ما سنأتى من اثم وصواب
إننا لم نجن ذنباً ليس من تقديره * فلمّ التعذيب في النار إذن يوم الحساب؟

أه لو كنت على الأفلاك رياً في سمانى * لمحت الآن هذا الفلك الضخم البناء
ولأنشأت بنفسى من جديد فلكاً * يدرك الأحرار فيه ما اشتهوا دون عناء
